عيوب الرجال

وآثارها فى حياة الأسرة

للسيدة زاهية مرزوق

أريد أن أكتب هذه المرة فى عيوب الرجل وآثارها المخربة فى بناء الأسرة . والموضوع كما يرى القارئ ، حساس دقيق . ولقد رجعت الى نفسى أسألها عن عيوب الرجل فتنصلت من الجواب ، زاعمة أن تجاربى الشخصية لم تزودها بمعلومات كافية فى هذا الباب ، ولكنى لم أشأ أن تفلت هذه الفرصة من يدى لأقول كلمة لعلها كلمة بنات جنسى كلها فى شرح قضيتهن والتعبير عما وقع عليهن من ظلم الرجال ، فلجأت الى مختلف الطبقات من السيدات ليساعدننى فى الإلمام بأطراف الموضوع ، وجمعت من معلوماتهن عن عيوب الرجل وأخطائه ما لم أكن لألم به من دونهن . ولقد لجأت كذلك الى الرجل أناشده الاعتراف بقليل من أخطائه وعيوبه فانتزعت من بعض الرجال كثيرا من الاعترافات ...

سألت أحد معارفى عن عيوب الرجل فقال فى دهشة واستغراب : " وأى عيوب فى الرجل " فقلت لنفسى وهذا أيضا عيب من عيوب الرجل . وسألت صديقا آخر فقال : لو انقرض جنس النساء من هذه الدنيا لأصبح الرجل كاملا لا عيب فيه " فتساءلت : كيف تكون حال الدنيا لو قالت المرأة أيضا " لو انقرض الرجال من العالم لأصبحت المرأة كاملة لا عيب فيها " !

ليس من الخير للرجل ولا للمرأة أن يعرف كل منهما أخطاءه ويصر على انكارها . بل الخير أن يعترف كلاهما بالواقع ويجتهد فى إصلاح هذه العيوب ، فهذا لكيان الأسرة ومجموع الأمة أنفع وأبقى .

كذلك ليس من الخير للرجل ولا للمرأة أن يحرص كل منهما على أن ينتصر على الآخر فى هذا الجدال بقوة ما يقدم من حجج وبراهين صحيحة أو غير صحيحة ، وقد تكون الأمثال التى يضربها متوافرة فى كثرة أو فى قلة من الأفراد ، ومهما يكن من الأمر فرائدنا الوحيد وهدفنا الأسمى هو اصلاح حال الاسرة المصرية ، ومن ورائه اصلاح حال الأمة جميعا ، فلينتصر الرجل أو لتنتصر المرأة فهذا لا يهمنا ما دمنا قد نتوصل بالبحث الى إنارة الطريق أمام الفريقين لتعديل حياتهما وتقويمها .

لو تتبعنا التطورات التاريخية لحياة الرجل والمرأة لوجدنا أن الرجل فى عصوره الأولى بجانب المرأة لم يكن شيئا مذكورا ، بل كانت هى المسيطرة على الحياة بما لها من الأثر الأكبر

فى حفظ النوع البشري مما كان يخفى على الرجل حقيقة أمره ، فلما أن عرف الرجل نصيبه الهام فى تكوين الأسرة أخذ يشعر بنفوذه فى الحياة ويستغل مقدار احتياج المرأة إليه فى تنفيذ مآربه وتوطيد سيطرته . وقد أعانته على ذلك قوته العضلية ونفسه المجبولة على القسوة والخشونة . ولا تزال المرأة فى بعض قبائل العالم محتفظة الى الآن بسيطرتها على الرجل ونفوذها فى تسيير أمور الحياة .

وبالرغم من اعتداد الرجل بنفسه واعتقاده أنه أعلى قدرا وأرقى عقلا من المرأة ما فتئت الأبحاث العلمية تنفى هذه التهمة التى ألصقها الرجل بالمرأة لا لشيء سوى رغبته فى إقصائها عن منافسته فى ميادين الحياة المختلفة ، فمجرد ظهور الرجل فى الحياة واستئثاره بنصيب منها ، لا يعنى أنه يرجح المرأة عقلا أو يفوقها فى كل ما يتطلبه النهوض بالحياة ، وإنما يعنى أن الرجل أتيحت له الفرصة قبلها ليضع من قواعد الحياة وينظم من قوانينها ما يوافق ميوله ورغباته ، ويشبع أنانيته وجشعه ، ولقد ظل محتفظا بهذا التراث المغصوب حتى توطدت سيطرته وأصبح العالم عالم الرجل . وإنى أعتقد أن مهما يكن فى المرأة من عيوب فما ذلك إلا نتيجة لأكبر عيب فى الرجل ، ألا وهو أنانيته واهتمامه بنفسه وإهماله شريكة حياته هذا الإهمال المعيب الذى قضى على الأسرة المصرية القضاء المبرم . الرجل أنانى لأنه حين وضع القوانين لم يفكر فى المرأة بل فكر فى نفسه فقط ، وهو أنانى لأنه حلل لنفسه ما حرمه على شريكته ، حتى المنكر فهو يباهى به فى حين أنه يقتل المرأة من أجله ! ! أنانى لأنه جعل المرأة شبه دمية يستمتع بها ويمتلك منها ما يشاء ، أنانى لأنه يتهرب من المسئولية العائلية فيترك زوجته المسكينة تكابد فى تربية الأطفال متاعب وآلاما . على حين يقطع هو وإخوانه الوقت فى لهو وسمر . أنانى لأنه يطغى على كل ما للأسرة من دخل ويبعثره بدون رقيب أو حسيب ، أنانى لأنه لا يعترف للمرأة بنصيبها المتواضع فى أخص أمورها ، وأخيرا هو أنانى لأنه يجب أن يضع نفسه قبل كل شيء وفوق كل شيء .

ويزعم الرجل أن كل مصائبه ومتاعبه آتية من جهة المرأة ، فإذا وقع فى محظور قال "فتش عن المرأة" وإذا سئل عن جرم قال "فتش عن المرأة" ويعلم الله أن المرأة من كل هذا براء ، فليست المرأة هى السبب فى زلاته ومنكراته كما يدعى . ولكن هكذا قال الرجل ، وهكذا شاء الرجل ، فلتكن مشيئة الرجل ، ولتتقدس إرادة الرجل ما دام هو الخصم والحكم ، وما دام هو الذى يسن القوانين ويضع التشريعات ، وما دام هو الذى يطبق هذه القوانين والتشريعات على المرأة وأنفها راغم .

كلنا لا يزال حديث العهد بتلك الحركة العنيفة التى قامت ضد المرأة وصلاحيتها للزوجية . وقد لاموا المرأة على نفور الشباب من الزواج ، ولعمرى ما أرى ذلك إلا اتهاما خاطئا ومحاولة لستر ما كمن فى الرجل من عيوب وطريقة لتشويش الحقائق على المفكرين والمصلحين .

طالبوا بفتح مدرسة للزوجات ونسوا أن الرجل أحوج إلى مثل هذه المدرسة إذ هو فى

أمور الزوجية تلميذ بليد ، نعم إن الرجل ، والمصرى بنوع خاص أشد الحاجة إلى مدرسة يتعلم فيها كيف يحترم زوجته، وكيف يعترف بحقوقها، وكيف يقدر روابط الأسرة وكيف يكون أبا صالحا يغرس فى أطفاله أصول الرجولة الصحيحة .

الرجل المصرى لم يظهر للآن رأيا حاسما واضحا فى المثل الأعلى للمرأة التى يريدها زوجة ، فهو لم يحدد نوعا خاصا من النساء ولم يفضل لونا خاصا من الطباع بل ترك المرأة حيرى لا تدرى كيف ترضى هـذا الزوج الطائش الضال المفتون ، فإذا انزوت فى دارها ورضيت بعيشها لم يعجبه منها خمولها وقال إنها لا تصلح لأن تكون زوجة ! و إذا تعلمت وتنورت لم تعجبه منها فلسفتها ، و إذا تبرجت لتستهويه لم تعجبه منها خلاعتها ، وهى لذلك لا تصلح أن تكون زوجة ، ولعمرى لا أدرى متى ينتهى الرجل من جدله مع نفسه ومتى يستقر على رأى ليخرج للمجتمع مثالا كاملا للزوجة الصالحة ؟ ولا أقصد بالصلاحيـة التامة ما يتخيله بعض الكتاب من إجادة صنع البطاطس فى الفرن ؛ و إنما أقصد تلك الصلاحية التى تخلق من المرأة المصرية زوجة تصلح لأن تتسامى إلى مقام الزوج المصرى ! فليعد كل والد ابنته وكل أخ أخته لتلك الحياة الزوجية التى تتمشى مع ميول رجل المستقبل ورغباته وذلك بإعداد البيئة التى تنشأ فيها إعدادا اجتماعيا صحيحا .

الرجل المصرى لا يفهم الزواج على حقيقته، ولا يعرف أغراضه السامية وروابطه المقدسة فالزواج عنده ليس شيئا سوى متعة أو أداة لهو يشتريها كلما تيسر له الشراء ، فإذا ما حازها جردها من كل شخصيتها وجعل منها خادما ذليلا لنفسه وذويه ، و إذا رغب فى النسل فعليها أن تطيع ، والزواج فى نظره ليس بشىء سوى مال كثير يشتريه بمال قليل، فهو يبحث عن التى يستمد من غناها قوة ، ومن مالها جاها ، أو عن التى تكون له سلما يرتقى به الدرجات، تلك هى الفاتحـة التى تفتتح بها المرأة حياتها الزوجية بل تلك هى المقدمة البليغة التى تستهل بها مأساة الزواج .

ثم تتوالى فصول المأساة وتتعدد صورها فلا يتكلم الرجل إلا ليقول إنه صرح البيت وعماد الأسرة ، وأنه هو الذى يشقى فى الحيـاة ويكد فى كسب الرزق أما المرأة فمهمتها دون مهمته وليس لديها من الأعمال ما يقاس بعمله . ولا يستنتج من كل هذه الدعاوى إلا نتيجة واحدة وهى أن قيمتها فى الحيـاة تافهة ، أو أنهـا على كل حال دون قيمته بكثير . وهأنذا أسائل نفسى : بالله ماذا يعمل الرجل الذى يذهب إلى عمله فيجلس على المقعد المريح و يتجاذب مع إخوانه وزواره أطراف الحـديث ثم يقضى ما تبقى من الوقت فى قراءة الجرائد وتناول القهوة ! هذا الرجل يذهب إلى منزله بعد هذا الجهد العظيم فيأكل وينام ثم يخرج بعد ذلك للقهى ليستريح من عناء الأعمال ! ! قارنوا هذا بما تقوم به المرأة من العمل المضنى فى ترتيب منزلها وتربية أطفالها وتدبير ميزانيتها لتجعل من القليل الذى يتركه لها زوجها كثيرا يكفى للقيام بأود الأسرة . ولو علم الرجل أن المرأة تقوم بنصيبها كاملا فى نضال الحياة الدائم ؟

وتبذل من جسمها فى الحمل والولادة داخل المنزل أضعاف ما يبذل الزوج خارجه ، لسمح لها بنصيبها من الراحة والتسلية ، وساعدها على التمتع بقليل من ملاذ الحياة .

وهؤلاء الرجال الذين أصيبوا بداء المقاهى والمنتديات ، ماذا تفيد الأسرة والأمة منهم ؟ ماذا يفيد الأسرة ذلك الرجل الذى يقضى نصف عمره متسكعا بين القهاوى وهائما فى الطرقات ؟ ! ذلك الرجل الذى قضى أياما معدودات دون أن يرى أولاده ، إذ يخرجون فى الصباح وهو نائم ويدخل فى الليل وهم نيام ! ذلك هو الرجل الذى لا يضن بشىء من ماله على الأصدقاء والخلان غير متورع عن صرف قوت أولاده على مجالس السمر والشراب ! وإذا ما لمنا الرجل على فراره من منزله وعلى التنصل من المسئولية العائلية الخطيرة التى كان يجب عليه أن يكون عمادها كما يدعى العادة فى كل شىء ، اعتذر بأنه لا يجد فى المنزل من وسائل التسلية ما يشغل وقته الثمين ! ونسى أن اللوم فى كل ذلك واقع عليه أولا وأخيرا . فهو الذى لم يعد نفسه ولم يعد المرأة التى أسلمه القدر قيادها للحياة الاجتماعية الصالحة التى تملأ جو المنزل بهجة وانشراحا . وهو الذى وضع النظام الخاطئ لتربية الفتاة ونشأتها ، وهو الذى تحكم فى تعليمها وتكييف حياتها كما يريد دون نظر لشعورها وإرادتها .

إن حياة الرجل المصرى مبنية على الفوضى وعدم النظام ، فهو فوضوى فى عمله ، فوضوى فى مواعيده ، فوضوى فى علاقته بمنزله وزوجته وأولاده ، وما أندر الرجل الذى يزن عمله ويعطيه حقه ، ويزن لهوه ويعطيه حقه ، ويزن مسئولياته العائلية والاجتماعية ويعطيها حقها . إن روح الاتزان فى ذلك كله مفقودة وقد حل محلها الطيش والاضطراب .

الرجل المصرى لا يعرف كيف يتمتع بالنشاط الاجتماعى ، ولا كيف يجعل من لهوه سبيلا إلى زيادة إنتاجه ، وهو فقير جدا فى الحديث النافع والسمر المفيد ، لا يدرى كيف يجعل من المجتمع مجلسا ممتعا مفيدا يحبب إلى المجتمعين الاستمرار فيه . أما ثقافته فمحدودة . وهو غير ميال للاطلاع ، وليس لديه هواية من الهوايات ، وهو لا يدرى من الآداب الاجتماعية شيئا ، فإذا وجد فى مجتمع راق فقلما يدرك أو يرعى أصول "الاتيكيت" وآداب المجالس .

أما الروح الرياضية فليس لها أثر عنده ، فكل ما يقوم به الناشئ من الألعاب الرياضية فى عرفه "لعب عيال" ، ولا يصح لمن كان فى سنه وفى مقامه ان يمارسها . وهو لا يعلم أن فقدانه تلك الروح الرياضية يحول دون تكوين شخصيته ، ويمحو من نفسه روح الاقدام وحب الطموح والتطلع إلى المغامرة ، وكلها أشياء لا غنى عنها لمن أراد النجاح فى الحياة .

إن هذا الضعف الخلقى فى الرجل المصرى مظهر "خطير" لانحلال الأسرة المصرية وتدهور الحياة الاجتماعية . وواجب على كل مصلح أن يعمل ما فى وسعه لتدارك هذه الحال قبل فوات الأوان ، فليتعاون الرجل مع المرأة وليتكاتفا جميعا فى العمل على إنقاذ الأسرة المصرية وانتشال المجتمع المصرى من الهوة العميقة التى تردى فيها طول هذه الأجيال .

زاهيه مرزوق